# الربيع العربي وإشكاليه طروحات البناء الرأسمالي في اقتصاد انتقالي

أ. م. د. عبد الجبار محمود العبيدي
أستاذ التاريخ والفكر الاقتصادي
كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة بغداد

## خلاصة البحث

ان الرأسمالية ليست بناءً هندسياً يتم انتظامه وفقاً للنظريات الهندسية والمعادلات الرياضية والفنون المعمارية، لأنها ببساطة نظاماً اجتماعياً يقوم على تشكيلة اقتصادية معينة، والأخيرة تقوم على مستوى معين لتطور قوى الانتاج (التكنولوجيا) والذي يقوم عليه مستوىً معين لعلاقات الإنتاج، ويقوم على التشكيلة الاقتصادية/ نمط الإنتاج نظاماً سياسياً، هو جزء من البناء الفوقي، ولأنها نظاماً اجتماعياً بالمواصفات انفة الذكر فهي ليست بناءً ابن الصفة الارادوية الذاتوية والقصدية، بل هي صيرورة ابنة عملية موضوعية لتطور عدد لا يحصى من المتغيرات واصطفافها في ظروف مواتية لتشكيل بنية اقتصادية تقوم على تقدم قوى الإنتاج، وتتطلب توافر طبقة ضليعة المصالح بالتغيير تعمل على تكييف وتغيير كافة الانظمة المؤسساتية والعلاقات والقوانين الحقوقية والتشريعات لموائمة الحركة الصاعدة المنبثقة من رحم القوانين الموضوعية .

اما تصوير الاقتصاد الانتقالي باعتباره اقتصاداً يمثل انتقالاً نحو الرأسمالية بالضرورة، ولا يحتاج سوى الى تعزيز البناء الرأسمالي، فهو لا يعدو أن يكون سوى محض نزهة مترفة في غياهب العقل خارج العناصر الموضوعية، التي يفترض انه نتاجاً لها.

## مشكلة البحث

أن مشكلة البحث تكمن في توصيف الحركات السياسية في المنطقة العربية وما يسمى بالحراك العربي تارة، والربيع العربي، تارة، والثورة، تارة، الذي يدور في فلك البناء الرأسمالي، وتوصيفه بالبناء الرأسمالي في اقتصاد انتقالي، كما اصبح يرد في الطروحات المترافقة بالحراك العربي ذاك- كما اصطلح على تسميته– كون تلك الطروحات غريبة عن مسار الحركة وكنهها، وليست مستمدة من داخل حركة البنية الاقتصادية والنمط الاقتصادي بمواصفاته التاريخية، بل من خارجها، في العلاقة مع الصفه الارادويه التي يتم النفخ فيها من خارج تلك البنى، من جهة، ووصفه بالانتقالي كتوصيف لا تاريخي، من جهة ثانيه.

مجلة العلوم
الاقتصادية والإدارية
المجلد 20
العدد ٧5
لسنة ٢٠١٤
الصفحات ٢٩٤- ٣٠٨

## هدف البحث

بيان معنى وسلامه توصيف الرأسمالية بالبناء من اجل تحديد مواصفاتها البنيوية، وأسبابها العليَة، وميكانزماتها الاوليه، وثم الانتقال إلى إشكالية بناء الرأسمالية باعتبارها ابنة الاختيار والقصديه والارادويه قبل أن نعرج الى توصيف إشكالية (بنائها) في اقتصاد انتقالي بعد توصيف الأخير واقعاده في البعد التاريخي المتجاهل .

## فرضية البحث

أن الرأسمالية ليست بناء، بل صيرورة، وليست إرادة بل ضرورة، وليست مستهدفه بل مستدرجه، وليست سوى جنينا في طور التشكل، لم تكن يوما رأسماليه بل صارت رأسماليه بعد أن تشكلت أعضائها التناسلية وامتلئت حيامنها بالمادة الحية القادرة على توليد وإنجاب رأس المال، وثم فإن بنائها في اقتصاد انتقالي لاتكمن اشكاليتهُ في الاقتصاد الانتقالي، بالرغم من عدم الاتفاق على توصيفه، بقدر ما تكمن في افتراض إمكانية بنائها وكإنها خلقاً ارادوياً ناجزاً لاصيرورةً موضوعية مفتوحةً .

## منهجية البحث

بالانطلاق من العنوان، على الرغم من اشكاليته للبحث في ما يسمى بالربيع العربي وإشكالية البناء الرأسمالي في اقتصاد انتقالي. أجدني محكوماً لفك تلك الإشكاليات، أو على الأقل فضح مكامن ضلالها وإبهامها الخارجية منها والداخلية لموضوع البحث، أجدني محكوماً بدراسة نشوء الرأسمالية كبنيه تاريخيه تشكلت وفقاً لسلسة من الأحداث والعلاقات ووفقاً لقوى إنتاجيه واليات داخليه خارج الإرادات الفردية، تلك القوى والآليات التي عند تحولها إلى مدركٍ في العقل الناهض، تحولت إلى عناصر ذاتويه دافعةٍ مقوَيه للعناصر الموضوعية وبالذات عندما استحالت إلى سياسات وإجراءات ترافقت بالحركة في صيرورتها التاريخية .

وعليه فان البحث سيتوزع على المحاور الاتيه :-

**المحور الأول**: نشأة الرأسمالية / الشروط الموضوعيه / الشروط الذاتويه

**المحور الثاني** : إشكالية البناء الرأسمالي

**المحور الثالث**: الاقتصاد الانتقالي. مدخل تساؤلي اعتمالي للتأسيس، تساؤلي إعتمالي لتوصيف الانتقال بين الاشتراطات والمشروطيه الخارجية، وبين الانتقال المزعوم في توصيف الحركات السياسيه الاقليميه المعاصره.

## المحور الأول/ نشأة الرأسمالية

### أولا . الشروط الموضوعية

ان الانتقال من نظام القنانه الذي اقتضى ما يزيد على المائتي عام في حضن النظام القناني /الإقطاعي الذي كان يمتاز بالهدوء المتوَج بالحفاظ على الثبات ودوام الحال وتجنب التغيير الذي من شأنه أن يعرض ذاك التوازن العجائبي للتدمير، بل انه كان يريد أن يكون هو الثبات، بل والثبات نفسه. "أنظر. بول هازار. أزمة الوعي الأوربي .٢٠٠٩ ص١٥-١٦" ذلك الثبات الذي انعكس في الثبات النسبي لوضع الحرفيين والتجار والزراع وبالقواعد الدينيه لتنظيم الحياة والعمل المنظم في نقابات cuild، والحفاظ على السعر العادل والأجر العادل، الذي لم يكن عادلا إلا من حيث انسجامه والمكانة التراتبيه الهيراركيه للطبقات المهيمنة في الهرم الاجتماعي، وعدم الإخلال به، حيث مكانة الإنسان المحددة في السلم الطبقي تستمد من كونه في جماعه لا بوصفه فرداً منعزلا (بل ان الفردية اصلا لم تولد بعد) هذا الوضع الذي انعكس ووجد تعبيره في الحاجات المحدودة، في العمل المتقن، والحياة المحددة باعتبارها محطة إلى حياة أخروية، وحياة اخرويتها هي الحقيقة، وما اقترن بها من ثبات متسم بالرضى عملت الكنيسة طيلة مئات السنين على تكريسه باعتباره نتاج قوانين الهيمَنة القدرية. ورغم كل محاولات الكنيسة والقديسين في تكييف الفكر الكنسي/ السكولائيscholastic المدرسي ليوائم متطلبات التغيير الذي أصبح واقعاً بدءً من الموقف من التجاره الذي كان امتداداً لمفاهيم المسيحيةالأولى في موقفها من الطمع والشهوات والترف، حيث كان يرى القديس جيروم ان الغني هو مجرم ابن مجرم، ويرى القديس اوغسطين أن التجاره يمكن أن تصرف البشر عن وجه الله لتصبح على يد توما الاكويني شرالابد منه" انظر. اريك فروم. الخوف من الحرية. ص٥٠ وما بعدها" والتحوَل من السعر العادل الى السماح بانحرافات مختلفة عن السعر العادل من باب التعرض للخسارة، سد نفقة النقل، اجراء التحسينات على السلعة أو تغيَر القيمة بسبب ظروف الزمان والمكان، إلى جانب الاستثناء المستند إلى المركز الاجتماعي للمتبادلين وقبول أسعار مختلفة تبعاً للمنشأ الطبقي للسلعه" سفر، ودليلة.١٩٩٢. ص ٩٤- ٩٦" وحسب رأي بعض المفكرين فان السكولائيين/ المدرسيين لم يظهروا احتجاجاً على حقيقة وجود أرباح، بل انهم يهدفون إلى تعيين حدود الربح حفاظاً على التراتب الاجتماعي الطبقي الإقطاعي وعدم الإخلال به " انظر. كبه. ١٩٧٢.ص٤٥٥ ". والتحول من الموقف المتشدد من الربا وشجبة، ومنع الإقراض لقاء فائدة، إلى تبرير الربا الإنتاجي (بعد الثورة الكالفينية) بشكل صريح، الا أن كل محاولات الكنيسة وقديسيها والمعلمين الكنسيين من مط التعاليم، ليس المسيحية النقية، فحسب، بل وحتى السكولائية المسيحيه المكيّفة أصلا لتطاوع منطق الحركة المتسارعه، لم تصمد بسبب نمو الإنتاج الحرفي وتخطيه حدود الاستهلاك المحلي"

للمزيد انظر. طارق العزاوي ١٩٧٥. ص٤٢" وذلك بفعل تطور قوى الإنتاج الذي يوعز في جزء كبير منه إلى الحروب الصليبية والاحتكاك بالعالم المتقدم آنذاك (الإسلامي) الذي كان من مظاهره استعمال الفرن عالي الحرارة في صهر المعادن، انتشار استعمال الطاقة المائية والهوائية لتحريك الدواليب والآلات، واستعمال المضخات لاستخراج الفحم، والرافعات، استثمار الثروات الجوفية، انتشار الآلات ذات النابض، استعمال الامبيق في التقطير، استخلاص العطور والزيوت والعقاقير، استعمال فنون استصلاح الأراضي، من تسميد واستصلاح وري، بما يتطلبه من طلب متزايد على الأيدي العاملة، التطور في بناء السفن، وفي فن الملاحة، إدخال علم السيمياءalchemy التي كانت غايتها تحويل المعادن الخسيسه إلى ذهب واكتشاف علاج كلي للمرض ووسيلة لإطالة الحياة أو تحويل الأشياء المبتذلة إلى نفيسة، أو القدرة على ذلك (معجم المورد ص٣٧) اضافة الى نقلهم عن العرب الطريقه العشريه decimal notation الجبر والأعداد الحديثة (أنجلس جدليات الطبيعة ص٣٤) .

لقد انعكس هذا التقدم في نمو التجارة وتطور المبادلات الذي هدم التنظيمات الحرفية المعروفة بنظام الطوائف وأفرغها من محتواها، وبدء النزاع بين أصحاب الطائفة الواحدة والمهنة الواحدة، ليتفجر ذلك الهدوء والثبات والرضا أمام اشتداد التمايزات والتناقضات في حياة وحاجات الإفراد، ليس بين مستوى طبقي وأخر بل وحتى داخل الطبقة الواحدة (عبد الجبار العبيدي.٢٠١١ ص٤٧).

وأصبح احتكار المهنة مقتصراً على أرباب العمل وأولادهم، وبولغ في تقدير نوعية العمل متصاحباً بتعسف في الأحكام، وخرق الأنظمة وتقاليد الطوائف cuild فقضي على التضامن الذي كان يسود الحرفه الواحدة، وقسمَت الحرفة الواحدة إلى طوائف .

كما أن ازدياد الانتاج الحرفي أدى إلى تخطي الاستهلاك المحلي وأخذت تظهر وتتكاثر نتيجةً لذلك طبقه من الوسطاء الذين يشترون إنتاج الحرفي ويبيعونه في مناطق أخرى والذين استطاعوا من خلال استخدامهم رأسمالهم المرابي في تقويض هيمنه المنتج الصغير على إنتاجه، ورجل الأعمال الصغير على أعماله، وكذا الحال بالنسبة إلى الطبقة الفلاحية التي كانت هي الأخرى جزء من الموقف العام، حيث تزداد تبعية المنتجين الصغار مجتمعين إلى هيمنة رأس المال المرابي باستخدامه شتى الطرق للهيمنة على العملية الاقتصادية برمتها. فبحجة توسيع الأعمال لمواجهة طلبات السوق أغري المنتج الصغير، ورجل الأعمال الصغير والفلاح، بفتح الأبواب أمام تسرب رأس المال المرابي للتزود بمستلزمات الإنتاج بالأجل، مروراً باحتكار شراء منتجاتهم واحتكار السوق، وانتهاءً بإقراضهم أبان الأزمات وركود الأسواق وسوء المواسم الزراعية التي أخضعتهم منتجين، حرفيين، وزراعيين، لرحمة رأس المال المرابي، وحولتهم إلى عمال لديه "مجموعة من الكتاب السوفيتي ١٩٧٢ ص-١٧٦-١٨٣" في حين كان المنتج يعرف ما عليه انتاجه وبأي ثمن يبيعه نسبياً والمكان الذي يبيع فيه .

كان لتطور السوق واتساعه الأثر البالغ في زعزعة الثقة بكل شيء بما فيها القيم والأفكار والعقائد والكنيسة. ثم أن حاجة تلك المعاملات التجاريه في توسعها إلى النقود والطابع الذي وسم الرأسمالية في نشأتها تجارية/ سبائكيه/ بيلونيه باحثه عن الذهب والفضة، وفي العلاقة بالتقدم التقني، الذي في تزاوجه بها قادا معاً إلى حركه واسعة للاستكشافات الجغرافيه، فكانت رحلات كولومبس، وفاسكودي كاما، وماجلان لبلوغ الهند في الأولى عن طريق السير غربا، وباتجاه رأس الرجاء الصالح في الثانية، وحول العالم في الثالثة، ويكفي الإشارة إلى أن رحلة فاسكودي كاما لوحدها درت أرباحا تقدر بنسبة ٦٠٠٠% ستة ألاف في المائة" أنظر العزاوي. مصدر سابق. ص٢٤" .

أن رأس المال التجاري/ المرابي الذي يسَر حركة الاكتشافات الجغرافيه بحثاً عن الذهب والفضة كان ذاته وراء الوسائل البدائية لتراكم رأس المال Primitive accumulation وعبر مسارات عديدة يكفي أن أشير هنا إلى :

## أ - المسار الأول. الداخلي وتمثل بالاتي:-

أ – ١- التجريد من الملكية، ونزع ملكية المنتجين الحقيقيين abstract of property حيث يملك الفلاح الحقل الذي يزرعه ويملك الحرفي الأدوات التي يستعملها عبر ما يعرف بحركة التسييج enclosure movement بدءً من انكلترا" كارل ماركس. رأس المال. ١٩٧٠. ص٣-٧٩".
أ – ٢- توزيع أراضي وممتلكات الكنيسة التي تمت مصادرتها على المقربين من الملك أومزارعين يعملون بالمضاربةالتجارية "ماركس. رأس المال . ج ٣ ف ٢ . ص ١٠٦٤"
أ – ٣- تكديس الحبوب لأحداث مجاعة وبيعها بعد ذلك بأسعار فاحشه. "جان بابي. ١٩٧٠.ص٤٨"
أ -٤- التضخم المنظم "المصدر نفسه "
أ – ٥- الحماية الجمركية "المصدر نفسه"

## ب - المسار الثاني. الخارجي

ب – ١- الحروب الاقتصادية بهدف سحق المنافسين بالاستيلاء على المستعمرات وفرض اتفاقات تجاريه رابحه معهم .
ب – ٢- استخدام أسلوب النهب الذي رافق الحملات الاستعمارية، وقد لعبت الحروب الصليبيه كأضخم عمليات نهب في التاريخ . الدور نفسه الذي لعبته القرصنة piracy كمصدر لتركم الثروات النقدية للتجار الأوربيين من القرن الحادي عشر وحتى القرن الخامس عشر "ارنست ماندل .١٩٧٢.ج ١.ص١١١"
ب -٣- الحملات التجارية وما رافقتها من عمليات نهب وقرصنه وحسب " سومبارت "ففي كل الأزمان اختلطت التجارة البحرية في أساسها بالقرصنة " المصدر السابق "
ب – ٤- تجارة العبيد. والتي كانت من صنوف التجارة الرابحة والرائجة والتي قضت نهائيا على القوه البشرية المنتجة في القارة الافريقيه وغيرها من المناطق الأخرى المستعمرة "محمد عبد الشفيع ١٩٨١. ص٦٥"
ب – ٥- إبادة السكان الأصليين وبالذات في المستعمرات الامريكيه، ففي غضون خمسين سنه أباد الغزاة الأسبان ١٥ مليون هندي في المستعمرات الهندية، وإستوصلت شأفة تلك المناطق الاهله بالسكان مثل هايتي، نيكاراغوا، ساحل فنزويلا، عن بكرة أبيها، "ماندل .ج١. ص ١١٧"

## ثانيا : الشروط الذاتيه على مستوى الفكر

أن نشأة النظام الرأسمالي ترافقت بتغيّرات كبيره على مختلف الصعد استطاعت فيها حركة رأس المال من دمج الأفكار في حركتها عبر التفاعل المتبادل بين الفكر وحاجات المرحلة التاريخية وتوظيف العلوم لخدمة تقدم قوى الإنتاج لرفد النظام بوسائل القوة حيث خاضت البرجوازية صراعا مريرا مع الطبقات المتحالفة مع الماضي، وفي ظل هيمنة الأخيرة طيلة ما يقرب من ثلاثة قرون عمل فيها التجار والمرابون ادواراً متزايدة باتجاه تمزيق الثقافه المدرسية الكنسية، التي لم تُجدي معها إجراء التكيفات والإصلاحات في فكرها ومعتقداتها في ظل التجزئة الاجتماعية للوحدات الريفية المنعزلة في اقتصادات مغلقة، وهي تتسلح بنتائج التقدم العلمي في مجال الطبيعة "نيوتن Newton الفلك/ كوبر نيكس Copernicus" غاليلو Galileo منهج العلوم الطبيعية، الاستقرائي inductive (بيكونbacon) والاستنباطي deductive ديكارت Descartes في مقارعة سلطه الكنيسة church على الثقافة والعقل في سبيل الانعتاق وتحرير العلم من التعاليم المسيحية والثقافة السكولائيه scholastiasim باتجاه نزع سيطرتها المتمثلة في سلطات البابا pope لتنتهي إلى

تأميم الكنيسة في بريطانيا أولا وتجريدها من المصادر الاقتصادية للسلطة حيث تكمن عوامل الهيمنة، لينفتح الطريق أمامها نحو اقامة السلطة المركزية القومية ذات السيادة المطلقة inifnitdominion على سيادات الأفراد متخذه على عاتقها مهمة توحيد الأقاليم تحت سيطرتها .

لقد ترافقت تلك العملية في رفد مفهوم السيادة بنقله من مصادرة الالهيه إلى الطبيعية، واقصار سيادة الكنيسة على الجانب الروحي من الحياة. الذي هو في حقيقته تجريدا لها من السلطة المدنية تأسيسا على الأيمان بقدرات الإنسان العقلية في أن يرقى إلى المعرفة وان يصنع أقداره دون منازع وإخضاع كل شيء إلى محكمة العقل، فأما أن يثبت وجوده وأما أن يرحل، حيث الإنسان وحده الذي أصبح مقياساً لكل الأشياء، مقياس وجود ما يوجد منها وما لا يوجد .

أن طبيعة العصر المغامرة ألهمت مقياس قوى التغيير، فلم يكن هناك رجل ذو شأن عاش آنذاك ولم يكثر الترحال أو لم يتكلم أربع أو خمس لغات أو لم يبرز في عدد من الحقول.

"فلم يكن ليونارد دافنشي رساما عظيما، فحسب، بل مهندساً وعالم رياضيات وميكانيكي عظيم أيضا وتدين له معظم الفروع المتنوعة للفيزياء باكتشافات هامة. البريشت دور Al Brecht dyrer كان رساما ونقاشا engraver ونحاتنا ومهندسا معماريا. ميكافيلي كان رجل دوله ومؤرخا وشاعرا وكان أول مؤلف عسكري مرموق للعصور الحديثة أيضا، ولم ينظف لوثر Luther إسطبل الكنيسة القذر، فحسب، بل نظف اللغة الالمانيه أيضا وأبدع النثر الألماني الحديث وألف كلمات، ولحَن تلك ألترتيله المتفوقة الحافلة بثقة النصر جنباً إلى جنب مع الايطاليين العظماء الذين تبدأ الفلسفة الحديثه بهم تلك الفلسفه التي قدمت شهدائها على خوازيق محكمة التفتيش وفي زنزاناتها. فكالفن Calvin احرق سيرفيتوس servitors على عمود التعذيب عندما كان الأخير على وشك اكتشاف دوران الدم وتركه نحو من ساعتين يشوى حيا، وكان كافيا، على الأقل بالنسبة لمحكمه التفتيش، أن يُحرق جوردانو برونو Giordanobruno بكل بساطه واما كوبر نيكوس Copernicus فقد رمى القفاز أرضا بوجه السلطة الكنسية في قضايا الطبيعة.

إلى هذا التاريخ يرجع تحرر العلوم الطبيعية من اللاهوت، حيث احتل علم ميكانيك الاجرام الأرضية والسماوية وهو أكثر العلوم الطبيعية الأساسية المكانة الأولي، والى جانبه وكخادم له الاكتشافات والكمال في الأساليب الرياضية، والانجازات الكبيرة اللاحقة المتمثلة بنيوتن neaten ولينايوس Linnaeus والهندسة التحليلية لديكارت Descartes واللوغارتمات لنابير Napier والحساب التفاضلي والتكاملي لليبنيز Leibniz واكتشاف كيبلر kepler قوانين الكواكب السيارة. وبالنظرية الالتهابية theory pnlogistic تحررت الكيمياء من السيمياء ولم تعد حركة الماده مجرد حركه ميكانيكيه بسيطة crude مجرد تغير في المكان، بل انها الحرارة والضوء والتوتر الكهربائي والمغناطيس، التراكيب والتحليل الكيميائيان، الحياة، والوعي. وبرهن غروف على ان جميع ما يدعى بالقوى الفيزيائية والقوى الكيميائيه الميكانيكيه والحراره والضوء والكهرباء والمغناطيسيه وحتى ما يدعى فعلاً القوى الكيميائيه يتحول بعضها إلى بعض تحت شروط محدودة دون أي فقدان في القوه الحاصلة ليقدم البرهان الإضافي على مبدأ ديكارت كون أن كمية الحركة الموجودة في العالم ثابتة مما يعني تحلل القوى الفيزيائية إلى إشكال مختلفة للحركة، لحركة المادة المختلفة والمتمايزة" انجلس. مصدر سابق. ص٤٢".

## المحور الثاني/ إشكالية البناء الرأسمالي

إن ما جعلني استغرق في العرض أعلاه هو لتأكيد العلاقة الجدلية بين عدد لا يُحصى من المتغيرات الموضوعية المرتبطة بظواهر مختلفة وعلوم متعددة وعناصر مختلفة داخل العلم الواحد، تلك الظواهر والمتغيرات والقوانين الكامنة ورائها والمحركة لها والمحددة لاتجاهها ومستقبلها في العلاقة بالأدوار الإنسانية وقدراتها على وعي تلك القوانين وتحويلها الى مدركٍ من خلال توظيف عوامل التقدم التكنولوجي والنتاجات العلمية الى امكانية تتواسق مع حركة الظواهر الموافقة او تحييد دورها غير الموافق للحاجات الانسانية والادارات والمصالح ، فالمسألة ليست مسألة اراده او رغبةٍ كما تزعم بعض النظريات ومنها نظرية روستو.

إن الطروحات التي ترى في الرأسمالية ابنة فعلٍ قصدي/ بناء نظام/ إقامة نظام، هي امتداد لمدارس فلسفية مثالية تعتقد بوجود إرادة خارجية ومدارس فكرية غربية ذات نزوع مثالي (هذا، ومن دون إهمال او تناسي اللينينة التي تصطف الى جانبها، على الرغم من نزعتها المادية) والتي ترى في العوامل الارادويه (ولكن هذه المرة إرادوية بشرية) العنصر الحاسم للتحول والانتقال من مرحلة الى اخرى، من مرحلة الركود الى الانطلاق، وعلى رأس تلك النظريات والمدارس الفكرية هي مدرسة والت ويتمان روستو في كتابه الصادر عام ١٩٦٠ حول مراحل النمو الاقتصادي، والذي يرى فيه ان المجتمعات تمر خلال مسيرة تطورها بخمسة مراحل كل مرحلة تفضي الى المرحلة التي تليها والتي اقصرها على خمسة مراحل والتي نسجل عليها وعلى الافكار التي تنهج نهجها ملاحظاتنا ومؤاخذاتنا الاتية:

١- ان روستو ومن يتبع نهجه يختزل التاريخ البشري بأكملهِ بمرحلةٍ واحدةٍ يطلق عليها مرحلة المجتمع التقليدي traditional society، وهذا يعني ان تاريخ الانسانية - من وجهة نظره- كلهُ مرحلةٌ واحدةٌ ، والنظام الرأسمالي وحدهُ مرحلةُ بذاتهِ، بل ويصف كل التاريخ الانساني ما قبل الرأسمالية (دون ان يشير اليها صراحةً بل يستخدم بدلاً عنها مرحلة ما قبل العصر العلمي الذي بدأه نيوتن) ويسمهُ بالركود ...

والذي يتضمن على معنى ان الحركة ظاهره جديده مرهونة بالرأسمالية وحدها ونفيها عن المجتمعات السابقة عليها متناسياً التراكمات الفكرية والتقنية التي لولاها ما كان يمكن للرأسمالية ان توجد اصلاً .

فالرأسمالية والحركة الرأسمالية لم تنبثق من فراغ ولم تخلق من العدم بل هي مخاض/ صيرورة/ نتاج حركة ابدية مستمرة .

٢- إيعاز الشروط المسبقة للانطلاق الى البنى الفوقية متمثلة بالنظام السياسي والنخب المثقفة، عازلاً تلك البنى عن جذورها المقيمة في البناء التحتي المتمثل في قوى الانتاج وعلاقات الانتاج .

٣- إيعاز اسباب التقدم الى مجرد رغبة القوى السياسية بعيداً عن كل المحتمات والاشتراطات التي تحكم عملية التقدم ، هذا ناهيك عن ان مفهوم التقدم بذاته لم يكن قد ولد بعد. ففكرة التقدم ومفهوم التقدم ولدت على يد الفرنسي الموسوعي ماري جان انطوان نيقولا كاريتا ماركيز دي كوندرسية فيما بعد منتصف القرن الثامن عشر حين كتب في مخبأه (كونهِ قد حكم عليه بالإعدام لانه من مؤيدي الثورة الفرنسية) كتب اشهر مؤلف وهو عرض تاريخي لتقدم العقل البشري

٤- تزييف التاريخ وخلطهِ وتضييع حقيقة النشوء التاريخي لما اسماه بالتقدم، بإعطاء تواريخ ، عدا انها عامةً / مطلقةً / فهي اعتباطية.

٥- في الوقت الذي يشير فيهِ الى الحوافز الحاده الكامنة وراء نشوء مرحلة الانطلاق مشيراً الى الثوره الالمانية عام ١٨٤٨ واليابانية عام ١٨٦٨.. الخ يتناسى النضد الكمي المعرفي والتقني السابق عليها بكثير.

٦- إقصاء عملية التقدم على عوامل كمية محضه مثل ارتفاع معدل الاستثمار كنسبه من الدخل القومي. او ظهور صناعات رائده... الخ متناسياً ان لا قيمة لهذا الكم دون ان يؤول الى نوعٍ يتمثل

في حياة انسانية لائقة بعيده عن الصراعات والحروب والفوارق الطبقية والمرض وشدة العمل... الخ .
٧- تحديد مدد زمنيه للمراحل التاريخيه للنمو التي درسها مستقاة من تجارب خاصة ومشاهداتٍ خاصة، والعمل على إعمامها وإعطائها صفةً عموميةً مطلقةً .
٨- اما أخطر ما تضمنتهُ نظريتهُ فهو تبرير عسكرة الاقتصاد بحجة الحفاظ على الامن ومنجزات النظام الرأسمالي، الذي اعتبرهُ خاتمة التطور وقفل التاريخ البشري. وقدوة الامم، والسبيل الوحيد لتحقيق التقدم، ناهيك عن رفضه التغيير عبر الثورات الاجتماعية واصراره على السير بطريق التطور التدريجي وهذا ما حدا بالمفكر الاقتصادي الراديكالي اوزر الى ايعاز اسباب ذيوع وشيوع نظرية روستو الى طبيعتها التطورية اللا ثورية.

ان هذا المنطق الذي يغتال حركة التاريخ، بما فيها حركة التطور الرأسمالي ويصادرها بمجرد رغبة النظام السياسي، و / او رغبة النخب المثقفة يتجاهل تماماً أن الرأسمالية لم تكن بناءً كمصدر للفعل يبني بما يتضمنهُ من محتوى ارادوي وعيوي قصدي للحركة في مألها والإعداد المسبق للقبض على جنس الجنين متلبساً بالمحتوى وكامل الخلقة، بل هي نمواً لعناصر احتاجت إلى نضد كمي لعدد لايحصى من المتغيرات ولمئات من السنين. وبفعل عوامل المصادفه وعلى الضرورة المتأصلة في ألصدفه - على حد تعبير أنجلس- الجدليات- ص ٥٤- في سعيها الانفلات من السبات والركود، لفئات أفرزتها الحركة ألصدفه في الضرورة المتضمنة عليها، والتي أدركت ذاتها بها ووجدت ذاتها بها على انها صاحبة المصلحة الحقيقية فيها. حركة اقتصاديه هي محض فعالية، نتاجاً أخطبوطيا للعملية الإنتاجية، رغبةً بالتوسع في الإنتاج، أملتها ضرورات التطور التقني، وخلقتها عناصر من خارجها أصلا، نتاجاً للحروب وما تمليه الحرب من توترات عقليه تحقيقاً للبقاء، واحتكاكاً حضارياً قسرياً بشعوب وأقوام وبعددٍ وأدوات للقتال والبناء والإنتاج، ومواد وزروعات، وتراجم وأفكار تحالفت جميعها لتدفع بالعميلة الانتاجيه نحو التوسع، والتي بدورها تجلب توسعاً في الأسواق واعتمال للأفكار السياسية والاقتصادية، وهي تسعى إلى التحرر من شرنقة قرون أسرتها في الكذب والزيف والوهم لأفكار تدعي القداسة والخلاص "يبدوا أنهم لم يفوا بوعودهم وكانوا قد خسروا قسماً كبيراً من رهانهم على الحقيقة والسعادة– حسب هازار. مصدر سابق. ص٩" لا لأن تحل محلها بل، لأنها مفردات من النوع القيمي، التي تركت أوربا نائمة طيلة ما يزيد على الألف عام، والتي لم تعد ذات معنى.

فالرأسمالية ليست نتاجاً وعيويا ارادوياً قصدياً مسبقاً يعي ذاته قبل أن تولد، الرأسمالية ليست مدرسه فكريه بل وقائع انجبت مدارس فكريه، الرأسمالية ليست تاريخاً مُفسراً بل تاريخ يُفسر، الرأسمالية لم تولد نفسيتها قبل ولادتها ولم تولد أخلاقها قبل أن تولد، لذا لا يمكن تفسيرها بأنها نتاج عوامل نفسيه كما يزعم ماكس فيبر. او فبلن أو هي نتاج للتحلل الأخلاقي والقيمي والديني، وليست إعلانا عن قرب الساعة كما يزعم ألقسسه واللاهوتيون، الرأسمالية هي نتاج للفعالية التي حتمتها واشترطتها التقنية والتقدم في قوى الإنتاج كعلاقة سببيه عليّه مباشره، وكل ماعدا ذلك هو توسيع للاتجاه، تكريساً له، انتماءا واختياراً للصدفة التي استحالت الى ضرورة اقتضت التحالف من اجل إدامتها ومنحها عوامل الاستمرار .

الرأسمالية ليست بناء/ نموذجاً منمذجاً تمت صياغتهُ قبلياً ex_poste في دهاليز العقل الغربي وشرنقات التفلسف الغربي، بل هي نتاجاً لصيرورة العملية الإنتاجية ودور تقدم القوى الإنتاجية فيها كمقداح لتلك الاليه المتزودة من بطارية الحرب. والتي تم نقلها للمحركات الانتاجيه التي بدورها نقلتها إلَى عجلات التقدم. وهي تشرعن نفسها، تفرز تشريعاتها وقوانينها وسياساتها التي تصبح ادواتاً عليّه، لا لنشأتها، بل لاستمرارها ودوامها وسيادتها، وحتى بافتراض انها نتاج بناء، كإفتراض مؤقت لإغراض التحليل ، فأن هناك عدد من الشروط الداخلية والخارجية، ألاقتصاديه والسياسية والاجتماعية، التقنية والعلمية، الانتاجيه والبنيوية، الموضوعية والذاتية، وفي مقدمة كل تلك الشروط هو وجود قطاعات إنتاجيه أولا وقطاعات إنتاجيه ممكنه التحريض والاستفزاز بعوامل التقدم التقني ومحركةً وخالقةً لأسباب تقدم قوى الإنتاج في علاقه لا انفصام فيها يحتمها منطق الحركة والفعالية الانتاجيه في شروطه الداخلية بما يقتضيه من طبقات واعية مدركه عارفه لما تريد، ليس على المستوى الفني والادواتي، بل وعلى المستوى التشريعي والقانوني والسياسي، والتي حينها يصبح التعارض والرغبة في تحييد الدين والقيم السماوية والبنى السياسية المعبرة عنها والمؤسسات التي تغلفها ليست محض رغبة تأميله خالصة، بل نزوعاً تُمليه الضرورات الموضوعيه في أساسها الإنتاجي المتحالف مع ذاته ومع ما يُجلبهُ منطق الالينه والتأليل، وضد كل القوى التي تحيل ضدها اياً كانت قدسيتها، كخيار تمليه الضرورات التقنية لفك كلُ ما يكبلها خارج منطق مصالحها المتواسقه والمتناغمة مع منطق التقنية وبالذات عندما تكون مغذاة بسوق فاغره متعطشة لمنتجاتها وبسياسات موسّعه لها.

طبقه تستقوي بمواردها مقابل دولةٍ كلما تزداد ضعفا تزدادا اعتماداً على الطبقة الناهضة المهيمنة على الفائض الاقتصادي المتاح في خضم بحثها عن الموارد المالية التي تحفظ هيبتها، دولة مستعدة للتنازل عن كل ثيابها الملكية في خضم بحثها عن الموارد، تلك الثياب التي لن يصنعها غير رأس المال بما ينسجم ومصالحهِ، التي لا تني تزداد اتساعاً حتى تلوي رأس الملوك عند أقدام رأس المال وهو يسعي لرفد حركتهِ بعوامل القوه، وبالذات عندما تصبح القوه والتراكم رديفان لا ينفصلان إزاء حكومات ملكية مطلقة مستعده أن تبيع كل مقدساتها في سوق الهيبة الفضفاضة التي سيصفعها رأس المال، ودين هش لم يعد الإصلاح معهُ ممكناً رغم جرأة لوثر وجدول كالفن. ودينا هُزم في نفوس مريديه، ولن يحتاج ألا إلى مرسوم ملكي لطرده خارج الحياة المدنيه بعد ان تعرى وفضح ورفعت عنهُ كل أيادي الرحمه بعد أن كف أن يكون الهياً وقدسياً وروحياً .

## المحور الثالث/ توصيف الانتقال بين الاشتراطات الخارجية والمحتمات الداخلية في الحركات السياسية الاقليمية

### اولا. الانتقال، المفهوم، الخلط، الاسباب، المحددات.

ان الانتقال هو مرحلة التكوّن الجنيني لاحينات، انكستروميات، عناصر نمط انتاج جديد في حضن النمط القديم، والنظام الاجتماعي القديم أبان شيخوخته، وقبيل انحلاله وتفسخه في تواتر وترابط وتداخل بين ضعف النمط القديم، والاحالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والوعي بإتجاه تصفيته، وبين نمو العناصر الجديدة، وما تشكلها وتفرزها من قوى إنتاجية، وعلاقات انتاجية، وطبقات وليدة، ومصالح جديدة وسط القوى المضادة، وهي توشك أن تجهز عليها. وهنا فإن الانتقال، ليس هو ابن سن الشباب والفتوة والنضج، كما هو الحال الإنساني، بل هو ابن الهِرم والشيخوخة. لذا لا يرتقي لان يشكل وجودا معلوما، نمطا اقتصاديا، او اقتصادا يتطور تبعا لقوانينه وميكانزماته الخاصة، لانه ببساطة نتاج صيرورة الانحطاط والتفسخ للنظام الاجتماعي القديم بكل بناه، من جهة، ونتاج تشكل ونمو لمكونات صيرورة النظام الاجتماعي الجديد، من جهة اخرى، وهو يحمل صفات النمط الاقتصادي القديم والنظام الاجتماعي القديم، الذي خرج منه، بعد ان حبل به، ولم يبرح مغادرته بعد، على الرغم من التراكم الكمي لكل العناصر الجديدة، ومقدمات التمظهرات الجديدة، التي لم تعد تشكل نوعا جديدا بعد، اي نظاما مكتفيا بذاته/ منتميا لنمطه الاقتصادي الجديد، الذي يقوم عليه بعد، ولانه لم يعد مكتفيا بذاته، منتميا لبناه ذاته، لظواهره المكتملة الكينونة، ولان ظواهر الكينونة الجديدة والتشكل الجديد غير مكتملة الوجود، ناقصة الوجود، فإنها غير معرّفة/ غير قابلة للتصنيف والتوصيف .

الا ان من المؤسف ان هناك ميلا لتوصيف التغيرات الحاصلة في المنطقة بمرحلة الانتقال تارة، وبالنمط تارة، وبالاقتصاد السياسي الجديد للتغيرات السياسية والاقتصادية تارة اخرى، وهو يوازي ما وقع فيه لينين والطروحات السوفيتية الدوغمائية الايدولوجية طيلة عمر الثورة البلشفية، وحتى تفكيك الاتحاد السوفيتي على يد غورباتشوف "انظر. عبد الجبار محمود العبيدي. ٢٠١١. الفصل الثاني "ويرجع سبب هذا الخلط والبحث عن استنتاجات سريعة الذي ليس هو بالمنهج العلمي، بل يدرج ويصنف– حسب باكون bacon– تحت ما يعرف بمنهج استباقات العقل، وهو منهجاً تأمليا زائفا، الى عدد من العوامل التي يمكن اختصارها بالاتي :-

١. عدم التمييز بين الانتقال باعتباره تحولا غير مكتمل الوجود على مستوى الماهية نحو نمط اقتصادي جديد يقوم عليه ويتاسس بناء عليه ، واستنادا اليه ، نظاما اجتماعيا جديد ، وبين المكوّن المكتمل الوجود على مستوى الماهية .
٢. عدم التمييز بين مكونات واشتراطات النمط الاقتصادي باعتباره يتضمن على مستوى ناجز في تفارقه عن المستوى القديم لتطور قوى الانتاج ، وما يترتب عليه من علاقات انتاج جديدة ، وبين الانتقال الذي لم يكن قد تخلص بعد من سمات علاقات الانتاج القديمة بسبب ، ليس عدم تطور قوى الانتاج بشكل كاف ، فحسب ، بل وبسبب تأخر علاقات الانتاج على اللحاق بتطور قوى الانتاج .

٣. عدم الاعتراف بأن البناء التحتي متمثلا بقوى الانتاج وعلاقات الانتاج التي تشكل اسلوب الانتاج السائد، هو الذي يشترط البناء الفوقي الذي تقوم عليه لضمان التواسق مع المصالح الاقتصادية التي تشترطه وتشترط وجوده من بنى سياسية، وتشريعات قانونية، وايدولوجيا، وما يتصل بها من اداب وفنون، ومنظومة القيّم والاخلاق . وان الانتقال، ليس ابن البنى الفوقية، بالرغم من انها احدى تعبيراته، بل ابن البنى التحتية، والا لماذا لم تُسقط الانتفاضات والهيجانات والرفض المقترن بالشقاء والاضطهاد المستمر تلك الانظمة التي عمّرت الاف السنيين، وهي تجثم كالصخرة على صدر الشعوب .

٤. عدم التمييز بين التحّول/ الانتقال المبني على اساس حركة المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، مجتمعة، محليا، وبين التحويل/ التنمية المبني على حركة العناصر الاقتصادية والاجتماعية الخارجية المحكومة بالتقنية .

٥. عدم التمييز بين الحركة الحرة، وبين الحركة المحكومة بعوامل خارجية، بين التحوّل/ الانتقال، وبين التحويل القسري المغلف باصطلاحات محرفة عن محمولاتها، مثال ذلك، برامج التكييف الهيكلي، الاصلاح الهيكلي، التنمية، التنمية البشرية، والتنمية المستدامة، وعليه ولاجل إزالة اللبس العالق في اللغة السائدة، حتى على المستوى الفكري والاكاديمي، فإن من الواجب تحديد مواصفات المرحلة التاريخية وحقيقة النظام الاجتماعي لهذا المسمى بالاقتصاد الانتقالي، وهل ان هذا الاخير هو انتقال لنظام اجتماعي، ام فوضى منظمة وممنهجة لتوابع النظام وحواشيه؟ وهل ان هذا المسمى اقتصاد انتقالي يمتطي حمارا، ام يركب عجلة؟ والى ما ينتقل؟ وهل هو على دراية بالأين والزمان ؟ أم أنه لم يعرف استخدام البوصلة اصلا. وهذا الامر يحيل بنا الى تحديد الأتي :-

أ. ما هي المواصفات التاريخية للاقتصاد الانتقالي/ أي الانتقال من من؟ الى من، بمعنى الاتجاه ؟

ب. ما هي الامكانات المتاحة في شرطيّها الموضوعي، وفي بعديه الداخلي والخارجي، وفي ركنيه، قوى الانتاج/ التقنية، وعلاقات الانتاج، والذاتي في بعديه، الفكر السائد، والفكر الناهض؟

ج. تحديد من هي؟ وما هي؟ القوى الفاعلة في الحركة الانتقالية، وهل تتناسب هذه القوى مع البيئة التي تعمل في ظلها القوى تلك بمعناها الواسع والمتكثر؟ بمعنى هل هي بيئة صالحة للانتقال؟ هل هي بيئة القوى التي ترفع لواء التغيير، والمقيمة في البناء التحتي المحلي؟ اي هل ان البيئة بيئتها؟ بمعنى هل ان قوى التغيير تمتلك الشرعية التي تجد مقامها في الواقع الموضوعي والبنى الاجتماعية بكل متضمناتها / الطبقية، المصلحية ؟

د. ما هو دور العوامل الخارجية؟ وهل ان البيئة العالمية متواسقة مع عملية الانتقال/ التحوّل/ التغيير بالمعنى المنظومي، لا بالمعنى المبتور عن جذوره البنيوية التحتية؟ اي هل ان قوى التغيير والقوى الفاعلة فيها، والمحِركة للحركة الاقتصادية، تجد امتداداتها وتحالفاتها في البيئة الخارجية ؟ ام ان البيئة الخارجية التي توحي وتدفع بالتغيير، هي ذاتها التي تصادره، وتصادر الحركة الاقتصادية والقوى الفاعلة فيها ؟ وان البيئة النكوصية والافكار التي تعادي التقدم والقوى الماضوية فيها هي القوى المرغوبة والمدعومة من قبل البيئة الخارجية والقطبية العولمية المتأمركة؟

وهل ان الدعم الخارجي لقوى التغيير (من دون الخوض في محتواها وحقيقتها وصفاتها) هو دفعا للحركة (بالمعنى التحتي/ الهيكلي/ البنيوي/ الانتاجي) ام مصادرة لها باسم التغيير من فوق، وبهدف تكريس القوى المعادية للتقدم بعد قلب الرؤوس الكاريكاتيرية فيها؟

وهذا يدعونا للتساؤل لماذا يدعوا دعاة التقدم العالمي الامريكي والغربي عموما الى التغيير؟ ولمصلحة من ؟ وباي اتجاه يراد الدفع به ؟
للاجابة على كل تلك الاسئلة اجد من المناسب الانتقال الى مناقشة البيئة الخارجية واشتراطاتها الكونية.

## ثانيا . البيئة الخارجية واشتراطاتها الكونية

يروق للعديد من المفكرين الذين تتلمذوا في الغرب ابان حقبة السبعينيات وما تلاها، وتحت تأثير المد الفكري الكينزي ، يروق لهم التعامل مع الراسمالية باعتبارها نظاما داخليا مغلقا، ممتنعين عن النظر بعين الوقائع الى حقيقة النظام التوسعية كونه نظاما امبرياليا حدوده العالم اجمع، وصدق سيسيل رودس احد منظري الاستعمار في القرن ١٩ حينما قال وهو يرى توزيع اخر ما تبقى من افريقيا على المستعمرين، (وددت اللحاق بالكواكب)"محمد عبد الشفيع عيسى. المصدر السابق. ١٩٨٤. ص١٩-٤٥"

ان استعمار العالم ومحاولة تقسيم الكواكب واستقطابها في ظل الهيمنة القطبية الاحادية يشير الى ان الراسمالية في توسعها وامبرياليتها، ليست ترفاً، هذا ناهيك عن الحقائق التي يمكن استخلاصها من الديناميكيا الحرارية "اسماعيل محمود علي. ٢٠١١. ص٢١٠"، او اختيارا مترفا نتاج التامل، بل هو ضرورة اقتحامية فرضتها البيئة التقنية، والرأسمالية في بنيتها وتركيبتها الحالية، التي تزداد خضوعا للتقنية، معبرا عنها بتطور قوى الانتاج، واندماج العلم بها، وتحويل تلك القوى، والعلم المندمج بها، وكل اشكال المعرفة وومضات العقل المبدع في اكتشافاته واختراعاته، تحويلها الى ابتكار، بمعنى توظيفها لتصبح عنصرا معوقا للانتقال والتحول عن الراسمالية.

ان اختناق المراكز الراسمالية الذي بلغ اشده مع حركة البحث العلمي واندماج العلم بالانتاج وتقدم القطاعات الرائدة، المتمثلة بالمعلوماتية، الاتصالات، الفضاء، الاوتوماتون، السبرانطيق، كلها أوجبت ضرورة الانتقال (على المستوى الايدولوجي) من منع تطور البلدان المتخلفة المحكومة بستراتيجيات التنمية المزعومة/ المانعة للتنمية، ومن النشر الممنوع للتصنيع، الى ضرورة تهيئة هذه البلدان وتكييفها لالتهام المخرجات الجديدة للصناعات الرائدة، ولا يهم اين ستوضع الحاسبة على ظهر حمار ام على طاولة الولاة، ولا يهم ماذا سنعمل بالشبكة الالكترونية، وفخ الديمقراطية كاداة ميسرة لها . هذا ناهيك عن اشكال التصريف للسلع الاخرى والخدمات الاخرى التقليدية منها والمحدثة، الاستهلاكية منها ام الاستثمارية، الحقيقية منها والمصطنعة، الإنتاجية منها وغير الإنتاجية، الخفيفة منها والثقيلة، كبيرة الحجم منها والدقيقة، المدنية منها والعسكرية، الملوثة منها للبيئة والملوثة للعقل.

ان مما لاشك فيه ان هذا النشر لاجزاء من التصنيع (الملوث والمتقادم والمترافق بالفتوحات الواسعة لفك الاختناقات ابان الحرب الباردة وما تلاها) لتيسير الانتقال ذاك بمفهومه المؤدلج تطلب بنية مفاهيمية وحزمة سياساتية واجراءتية تمثلت بالاتي:-

١- سلة من المفاهيم على غرار الاصلاحات الهيكلية/ برامج التكييف/ تنمية مستدامة /اقتصاد المعرفة .
٢- صنع نخب سياسية وحكومات في حقن خارجية منذ اوائل الستينيات مهمتها قلب وتهديم البنى المعوقة (ليس للحركة الطبيعية) بل لهدم البنى الحقيقة للتقدم .
٣- امركة الحكومات وضمان اختيارها منزوعة الانتماء وغير ذات اتجاه بما يسهل تنفيذها الاعمى للسياسات والبرامج المملاة عليها بكل امانة !
٤- امركة النخب المثقفة المحلية واغراءها بالايفادات والنعم المسروقة اصلا من بلدانها بما ييسر مسخها وغسل ادمغتها لتصبح صالحة لهضم وتمثل السياسات والبرامج الخارجية وبتفنن في تحييد شخوصها والمتجارة بهم في سوق النخاسة السياسية .
٥- تركز السياسات والاجراءات على نهب الفائض الاقتصادي وعلى يد النخب المحلية وطروحاتها المجترة من البرامج الاجنبية بما يسهم في منع وتعقيم اي سلوك عقلاني منتج مجدي اقتصاديا وبنيويا .
٦- مصادرة الثروات البشرية من اساتذة ومثقفين وطلبة متفوقين ونوابغ علمية (كلفت البلدان المعنية موارد مالية هائلة) ونقلها خارج الرحم الاجتماعي تحت مظلات الايفادات والزمالات والبعثات الدراسية والتي هي صورة من صور الاتجار بالبشر وعودة النخاسة القديمة (التجارة بالعبيد) الى نخاسة جديدة متمثلة بالاتجار بالعلماء والمثقفين والتي هي في حقيقتها شكلا اخر مبطنا من اشكال نهب، ليس الفائض الاقتصادي المتدفق، بل نهب الفائض المتراكم الذي احتاجت تلك البلدان فيه الى عشرات السنين من الانفاق والكدح والعرق .
٧- اعتماد مناهج تدريسية مغربنة منزوعة الاصالة المعرفية باسم العلمية واقتصاد المعرفة.
٨- نشر ثقافات التسيّب والتهتك والابتذال باستخدام الادوات التقنية الحديثة وباسم الديمقراطية وحرية الشعوب ، تصادر حريتها في الانتقال والحركة.
٩- توظيف الشعوب ضد ذاتها بعد تقطيع اواصرها وتذريرها لتسهل ادارتها.
١٠- احياء الانتماءات ما قبل مجتمعية، ليس لمرحلة ما قبل الصناعة، بل لمرحلة ما قبل التشكل المجتمعي والدولة من خلال اعلاء شان العشائرية والاثنية والطائفية والتخاطب مع المجتمع المذرر من خلال ليس مندوبيه الساميين/ الشرعيين، بل من خلال مندوبيه ممثلي هذا التذرير والتشظي والتقطيع .

لذا فان تصوير التغييرات السياسية الكاريكاتيرية الحالية على الساحة الاقليمية باعتبارها قدحة التغيير المؤسس (لثورات) شعبية ضد السلطات الحاكمة الطاغية المستبدة الفاسدة باتجاه مطالب الحرية للمواطن وترسيخ القيم الديمقراطية، وهي تمد اصابعها وخيوطها لتشمل كافة ابناء الشعب وتتجه نحو تنمية مستدامة بدلا من نمو طالت فترة اعاقته على يد انظمة فاسدة- حسب الخطاب الرسمي العربي- "الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية المؤتمر العلمي الثاني عشر تحت عنوان الاقتصاد السياسي للمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الراهنة في الدول العربية ك١ ٢٠١١ " لهو التضليل بعينه والتزييف بعينه والتجهيل بعينه، وذلك للأسباب الاتية :-

١- ان القوى المطالبة بالتغيير تمثل خليطا متنافرا من المصالح والثقافات للفئات والشرائح والطبقات، وإذا كان هذا يمثل مؤشرا ايجابيا كما يدعي معظم المثقفين من الذين تعج بهم الفضائيات ويعج بهم ضجيج العقل ، فانها في اعتقادي تمثل مؤشرا سلبيا لانها تعبر عن لا اتجاه، وعن غياب مصالح واضحة سائدة موضوعية– تحتية- انتاجية- طبقية ،بل هي مجرد عناصر غاضبة مغضبة تحركها الالة الاعلامية العولمية التي اسهمت هي ذاتها طيلة اكثر من نصف قرن في تعميم واجترار خطاب الانظمة الظلامية السائدة المنصبة والممكنة والمدعمة من قبل اوعيتها.

٢- غياب مطالب حقيقية منهجية منطقية ستراتيجية برامجيه للتغيير، وكأن التغيير مطلوبا لذاته.

٣- غياب البرامج الاقتصادية الحقيقية (لا الاصلاحية) بل البنائية، واقتصار المطالب المعلنة على توسيع المنافع ودائرة الرفاه المرسومة بعناية فائقة كفخ لتتفيه الشعوب.

٤- لا يوجد قادة حقيقيون منبثقون من البنى الاقتصادية الانتاجية سواء أكانت اقطاعية، برجوازية، فلاحية، عمالية، اياً كانت، بقدر ما كانت تعبيرا عن قادة شارع وهميين لحظويين لاهدف لهم غير اسقاط السلطات ورؤوسها ، ليصار وبعد الجهد الهوليودي الدقيق وصناعة النجم الجديد القادم من ارض الميعاد المتمثلة بمكاتب صناعة قادة العالم المتخلف في القواعد الامريكية الغربية الاوروبية ، يصار الى اتفاق عليه عبر كتل شبحية ممولة ومعدة بعناية ومحركة عن طريق الريمونت كونترول .

## مستخلص نهائي

نخلص مما تقدم ان الانتقال المزعوم ذا الموسوم بالربيع العربي تارة، والانتقال، تارة اخرى هو (انتقال) في البنى الفوقية، بل وانتقال في راس السلطة التي هي جزءً تافها من اجزاء البنى الفوقية مفصولا عن جسده المقيم في البنى التحتية ومنفصلا عن تجلياته في الفكر والوعي المجتمعي المبتور عن المصالح الطبقية الحقيقية الممنوعة من التكوّن والتشكل والتجوهر والمستعاض عنها بتشكيلات زائفة ما قبل مجتمعية لاكساب السلطات الخارجانية الصفة الشرعية وهو حقاً ربيعاً ولكن من المؤسف أنه ليس ربيعاً عربياً بل ربيعاً امريكياً بامتياز.

## المصادر

١. بول هازار. ازمة الوعي الاوربي .ترجمة د.يوسف عاصي- المنظمة العربية للترجمة ص١ بيروت .٢٠٠٩
٢. ابراهيم كبة دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي. ط٢. مطبعة العاني. بغداد ١٩٧٢. ص.٤٥٥
٣. طارق العزاوي. الفكر والتاريخ الاقتصادي ط٢..١٩٧٥. مطبعة الأزهر- بغداد.
٤. انجلس. جدليات الطبيعة. ترجمة محمد اسامة الكوتلي. دار الفن الحديث العالمي. دمشق. .١٩٧٠
٥. عبد الجبار العبيدي. خرافة التنمية والتنمية البشرية المستدامة– دار الحامد للنشر والتوزيع. الاردن- عمان .٢٠١١
٦. والت ويتمان روستو. مراحل النمو الاقتصادي. ترجمة برهان الدجاني. المكتبة الأهلية. بيروت ١٩٦٠.
٧. مجموعة من الكتاب السوفيتي. اسس الاشتراكية العلمية لمجلدين .ترجمة بدار الدين السباعي . دار الجماهير للطباعة-١٩٧٢
٨. كارل ماركس. رأس المال. ترجمة محمد عتيابي. بدون تاريخ
٩. جان بابي القوانين الاساسية للاقتصاد الرأسمالي. ترجمة لجنة من الأساتذة. ط١ منشورات مكتبة النهضة / بغداد ودار العلم / بيروت .١٩٧٠
١٠. اسماعيل محمود علي .تاريخ الفكر الاقتصادي– الإسكندرية مكتبة الوفاء القانونية .٢٠١١
١١. ارنست ماندل. النظرية الماركسية. ترجمة جورج طرابيشي ط١. دار الحقيقة. بيروت..١٩٧٢
١٢. محمد عبد الشفيع عيسى . ط١/ دار الوحدة. بيروت.١٩٨١.